

## الإمام لا يغسله إلا الإمام-4

أما لو قلنا بأن ذلك في العلن فنحن أمام ما يثبت ذلك من خلال الروايات، وقد لاحظت بعض الروايات التي تشكل بمجموعها قرائن تدل على تغسيل وتكفين ودفن غير المعصوم للمعصوم.

إشكال ورده:

وقد يستدل على ذلك بدعوى بعض القرائن منها:

1- دعوى الإجماع على أنّه لا يلي أمر الإمام إلا الإمام مثله.

وفيه: إن كان المقصود الإجماع المنسقول؛ فالإجماع كما عرفت سابقاً خلاف ذلك، فقد أجمع العلماء على أنّبني أسد هم من دفنا الإمام الحسين، وإن كان الإجماع المحصل فالمحصل أيضاً على خلاف ذلك إلا إن كان المقصود به المحصل عند المعاصرين ولا رأي للمتقدمين في ذلك.

2- تصريح بعض الروايات بذلك.

منها: رواية الكشي حيث ورد فيها أنّ علي بن أبي حمزة البطائني قال للإمام الرضا إزّاماً رويانا عن آبائه أنّ الإمام لا يلي أمره إلا الإمام مثله فقال له أبو الحسن الرضا فأخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً أو كان غير إمام؟ قال: كان إماماً، قال: فمن ولد أمره؟ قال: علي بن الحسين. قال كان محبوساً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد. قال: خرج وهو لا يعلمون حتى ولد أمر أبيه ثمّ انصرف. فقال أبو الحسن: إنّ هذا أمكن علي بن الحسين أنّ يأتي إلى كربلاء فيلي أمر أبيه فهو يمكّن صاحب هذا الأمر أنّ يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثمّ ينصرف وليس في حبسه ولا أسر [1].

وقد استدل بها على أن الإمام السجاد ولد أمر الإمام الحسين عليهما السلام وليس التغسيل فقط، باعتبار أن ابن البطائني لم يسأل عن التغسيل.

ومنها: ما رواه الكليني في روضة الكاف في بسنده عن عبد الله بن القاسم البطل عن أبي عبد الله في قوله

تعالى: لَكَ تَفْسِيدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتْ تَبَّانَ (10) ورد في ذيلها (ولا يلي الوصي إلا الوصي) [21].

ومنها: ما رواه ابن شهرashوب في المناقب قال: وقد روي أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالرِّسُولِ وَالإِمَامَ... وإنَّ الْإِمَامَ لَا يَتَوَلَّهُ لَادْتَهُ وَتَغْمِيْهُ وَغَسْلَهُ وَدُفْنَهُ إِلَّا إِمَامٌ مُّثُلُهُ [31].

وجوابه - وبغض النظر عن سندها - :

أولاً: إن أكثر الروايات حصرت الكلام في التغسيل، بل والقاعدة المذكورة وهي (الإمام لا يغسله إلا إمام) تبين أن الأهم في ذلك التغسيل، وإن أشارت بعضها كما عرفت من جملة من الروايات أن الإمام باشر التغسيل والتکفين والدفن مثلاً. ولكن على أرض الواقع المرئي والدليل لم يكن كذلك كما سترى في النقطة التالية.

ثانياً: إن هناك روايات عديدة مما ذكرناها سابقاً تخالف هذه الرؤية ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

1-الروايات التي تحدثت عن أن غير الإمام غسل وكفن ودفن الإمام، كما في تغسيل سليمان بن جعفر، وتولىبني أسد لشأن الإمام الحسين كما في رواية كامل الزيارات المارة الذكر وتغسيل أم ولد للإمام السجاد(ع)، وما جاء في عيون أخبار الرضا (.... وبكر المؤمن: من الغد فأمر بغسله وتکفينه، ومشى خلف جنازته حافيا حاسرا يقول: يا أخي لقد ثلم الاسلام بموتك، وغلب القدر تقديري فيك، وشق لحد الرشيد دفنه معه، وقال: أرجو أن ينفعه الله تبارك تعالى بقربه) [41].

وواضح من هذه الرواية أن المؤمن هو من تولى تجهيز الإمام في كل شيء حتى أنه دفنه مع الرشيد.

وفي إرشاد المفید (ولما توفي الرضا عليه السلام كتم المؤمن موته يوماً وليلة، ثم أنفذ إلى محمد ابن جعفر الصادق عليه السلام وجماعة آل أبي طالب الذين كانوا عنده فلما حضروه نعاه إليهم وبكي، وأظهر حزناً شديداً وتوجع وأراثم إياه صحيح الجسد، وقال: يعز علي يا أخي أن أراك في هذه الحال، قد كنت أؤمل أن أقدم قبلك، فأبى إلا ما أراد. ثم أمر بغسله وتکفينه وتحنيطه، وخرج مع جنازته فحملها حتى أتى إلى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن دفنه) [51]. وذكر أبو الفرج في المقاتل ما ذكره المفید رحمة الله من أوله إلى آخره بأسانيد، ثم روى بإسناده عن أبي الصلت الھروي أنه قال: دخل المؤمن إلى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه، .... فحضره المؤمن قبل أن يحفر قبره وأمر أن يحفر له إلى جانب أبيه ثم أقبل علينا فقال: حدثني صاحب هذا النعش أنه يحفر له قبر فيظهر فيه ماء وسمك،

احفروا فحفروا، فلما انتهوا إلى اللحد نبع ماء وظهر فيه سمك ثم غاص فدفن فيه الرضا عليه السلام [\[16\]](#).

2-الروايات التي أشارت أن الإمام فقط قام بالتفسيل والتکفین، ولكن غيره قام بالدفن:

أ- كما في رواية هرثمة (قال: فسكت عنی ثم ارتفع الفسطاط فإذا أنا بسیدی عليه السلام مدرج في أکفانه فوضعته على نعشه ثم حملناه فصلی علیه المأمون وجميع من حضر ثم جئنا إلى موضع القبر فوجدهم يضربون المعاول دون قبر هارون ليجعلوه قبلة لقبره والمعاول تنبو عنه حتى ما يحفر ذرة من تراب الأرض) [\[17\]](#)

ويظهر منها أن الإمام الحواد -لو سلمنا أنه المغسل- لم يكن قد حضر الدفن ولم يباشر الدفن بنفسه فكيف يقال أنه تولى أمره في كل شيء؟

ب-عيون أخبار الرضا (ع): الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن ياسر الخادم قال: ..... وكان محمد بن جعفر بن محمد عليهما السلام استأمن إلى المأمون وجاء إلى خراسان وكان عم أبي الحسن فقال له المأمون: يا أبا جعفر اخرج إلى الناس وأعلمهم أن أبا الحسن لا يخرج اليوم وكره أن يخرجه فتفرق الفتنة فخرج محمد بن جعفر إلى الناس فقال: أيها الناس تفرقوا فإن أبا الحسن لا يخرج اليوم، فتفرق الناس وغسل أبو الحسن في الليل، ودفن. قال علي بن إبراهيم: وحدثني ياسر بما لم أحب ذكره في الكتاب [\[18\]](#).

والظاهر من هذه الرواية أن الإمام غسل ودفن ليلاً بمرأى من محمد بن جعفر بن محمد هذا وبعلم المأمون.

ج-وفي رواية عمر بن واقد: ..... وقال لي: يا أبا حفص إكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر، فكشفته فرأيته ميتا فبكى واسترجمت، ثم قال للقوم: أنظروا إليه، فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه ثم قال: تشهدون كلکم أن هذا موسى بن جعفر بن محمد؟ قالوا: نعم نشهد أنه موسى بن جعفر بن محمد، ثم قال: يا غلام إطرح على عورته منديلا واكشفه، قال: فعل، فقال: أترون به أثرا تنکرون؟ فقلنا: لا ما نرى به شيئا ولا نراه إلا ميتا، قال: لا تب冤وا حتى تغسلوه وأکفنه وادفنه، قال: فلم نرج حتى غسل وكفن وحمل فصلی علیه السندي بن شاهک، ودفناه ورجعنا، فكان عمر بن واقد يقول: ما أحد هو أعلم بموسى بن جعفر (عليهما السلام) مني، كيف تقولون: أنه حي وأنا دفنته [\[19\]](#) .

وهي صريحة في أن عمر بن واقد هو من دفن الإمام الكاظم (ع)، هذا أقل تقدير وإن فيها أن السندي بن شاهك صلى عليه، فكيف يقال أن الإمام يتولى كل شيء؟.

د-وصية الإمام لهرثمة في روايته وأبي الصلت في روايته وكاتب الإمام الرضا الحسن بن عباد والتي يوصيهم فيها بمكان دفنه وطريقة تجهيزه، وقد مر<sup>٣</sup> عليك مقاطع من روايتي هرثمة وأبي الصلت وأما ما روي عن الحسن بن عباد كاتب الرضا عليه السلام قال: (.... فقال: احفروا ذلك المكان فإنه سيلين عليكم، وتجدون صورة سمكة من نحاس وعليها كتابة بالعبرانية، فإذا حفرتم لحدي فعمقوه وردوها مما يلي رجلي فحفرنا ذلك المكان وكان المحافر تقع في الرمل اللين ووجدنا السمكة مكتوباً عليها بالعبرانية: "هذه روضة علي بن موسى، وتلك حفرة هارون الجبار" فرددناها ودفناها في لحده عند موضع قاله).

فإن من قام بالحفر هم هؤلاء ومن معهم من أتباع المأمون وليس الإمام.

هـ-وما جاء في غيبة الشيخ الطوسي: يونس بن عبد الرحمن قال: حضر الحسين بن علي الرواسي جنازة أبي إبراهيم عليه السلام فلما وضع على شفير القبر إذا رسول من السندي بن شاهك قد أتى أبا المصا خليفته - وكان مع الجنازة - أن اكشف وجهه للناس قبل أن تدفنه حتى يروه صحيحاً لم يحدث به حدث، قال: فكشف عن وجه مولاي حتى رأيته وعرفته ثم غطى وجهه وادخل قبره صلى الله عليه [10].

وطاهر هذه الرواية أن أتباع الشاهك هم من دفنا الإمام الكاظم بمحضر الحسين بن علي بن الرواسي.

و- غيبة الشيخ الطوسي: لما حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم موسى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تحير الرشيد، ..... إلى أن قال: (ثم دفن عليه السلام ورجع الناس، فافترقوا فرقتين فرقة تقول: مات، وفرقة تقول: لم يمت [11]. ونقلها ابن شهرآشوب عنه في مناقبه [12]).

وطاهر هذه الرواية أنهم هم من دفنه ولم يكن الإمام حاضراً طاهراً.

ز- غيبة الشيخ الطوسي: وفي حديث طويل .... وسأل موسى عليه السلام السندي عند وفاته أن يحضره مولى له ينزل عند دار العباس بن محمد في أصحاب القصب ليغسله ففعل ذلك قال: وسألته أن يأذن لي أن أكفنه فأبى وقال: إنما أهل بيت مهور نسائنا وحج صرورتنا، وأكفان موتانا من طهرة أموالنا، وعندي كفني، فلما مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره فنظروا إليه لا أثر به،

وشهدوا على ذلك وخارج فوضع على الجسر ببغداد، ونودي: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو عليه السلام ميت. قال: وحدثني رجل من بعض الطالبيين أنه نودي عليه: هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الراافضة أنه لا يموت، فانظروا إليه، فنظروا إليه. قالوا: وحمل دفن في مقابر قريش، فوقع قبره إلى جانب رجل من النوفليين يقال له عيسى بن عبد [13] .

وطا هر هذه الرواية أن من غسل الإمام هو مولاه، ودفن من قبل أتباع السندي.

ح- وفي رواية أبي الصلت الهروي الطويلة مقاطع متعددة ..... ثم قال: سيرفر لي في هذا الموضوع فتأمرهم أن يحفروا إلى سبع مراقي إلى أسفل وأن تشق لي ضريحه، فان أبوا إلا أن يلحدوا فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبرا فان [ ] تعالى سيوسعه ما يشاء، وإذا فعلوا ذلك فإنك ترى عند رأسى نداوة، ..... فبینا أنا كذلك إذ دخل على شاب حسن الوجه، قطط الشعر، أشبه الناس بالرضا عليه السلام فبادرت إليه وقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق، فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حجة [ ] عليك، يا أبو الصلت أنا محمد بن علي. ..... ثم قال لي: يا أبو الصلت قم فافتح الباب للمأمون ففتحت الباب، فإذا المأمون والغلمان بالباب، فدخل باكيا حزينا قد شق جيبه، ولطم رأسه، وهو يقول: يا سيداها فجعت بك يا سيدى، ثم دخل وجلس عند رأسه وقال خذوا في تجهيزه فأمر بحفر القبر، فحفرت الموضع ظهر كل شئ على ما وصفه الرضا عليه السلام فقال له بعض جلسائه: ألسنت تزعم أنه إمام؟ قال: بل، قال لا يكون إلا مقدم الناس فأمر أن يحفر له في القبلة فقلت: أمرني أن أحفر له سبع مراقي وأن أشق له ضريحه فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، ولكن يحفر له ويلحد. .... [14] .

وطا هر فيه عدة أمور:

1- أن أتباع المأمون هم من يحفرون، وأبا الصلت يأمرهم أن يحفروا حسبما وصاه الإمام فال مباشر للحفر هم أتباع المأمون وهم من وضعوه في القبر مع أبي الصلت.

2- أن المأمون عندما دخل عليه وهو ميت لم ير الإمام الجواد بدلاً منه أمره بتجهيز الإمام الرضا.

3- إن ما تبينه هذه الرواية أن الإمام الجواد قام بتغسيله وتكفينه ولم يقم بدفنه.

وعليه: كيف يقال أن الإمام متکفل بكل شيء من التغسيل والتکفين والدفن وما إلى ذلك!.

طـ. ما جاء في مروج الذهب للمسعودي: كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام في خلافة المعترض، وذلك يوم الاثنين لأربعين من جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين وما تئن وهو ابن أربعين سنة، وقيل ابن اثنين وأربعين سنة، وقيل أقل من ذلك، وسمعت في جنازته جارية سوداء وهي تقول: ماذا لقينا من يوم الاثنين، وصلى عليه أحمد ابن المตوك على [\[15\]](#) في شارع أبي أحمد، ودفن هناك في داره بسما مراء [\[15\]](#).

والخلاصة من كل هذه الروايات أن هناك من قام بتغسيل وتحنيط وتكفين ودفن الإمام ظاهراً غير خفي، ومنه يظهر عدم دقة القول بأن الإمام لا يلبي إلا إمام في كل شيء إلا أن يقال أن ذلك في الخفاء كما هو الحال مع الملائكة في حضورها وفي مشاركتها هذه الأمور والنبي الأعظم (ص) بحضوره ودفنه الإمام الحسين، وحيثئذ لا يبقى لنا كلام إذا كان المقصود ذلك.

هل تقتضي الصورة تغسيل غير الإمام للإمام:

ويبقى أنه لو فرضنا صحة أن (الإمام لا يغسله إلا الإمام) أو (الإمام لا يليه إلا الإمام) فهل أن ذلك مطلقاً أو أنه يمكن أنه يليه ولو في أمر من الأمور إذا اقتضت الحاجة ذلك أو استلزم ذلك شيء من الضرر؟

الظاهر وحسب روايات أهل البيت الثاني وأن الحاجة اقتضت أن يباشر الإمام غيره، إما حسب ما يدعى من خوف الضرر، أو لبعد المسافة بينهم كما هو الإمام الرضا مع أبيه أو الإمام الجواد مع الرضا عليهم السلام - وإن كان لا يبعد طي المسافة لهم - أو لسيطرة الأعداء عليه كما تحكيه رواية كامل الزيارات بحق الإمام السجاد.

ويبدو هذا هو رأي الشيخ المفید في مسألة دفن الإمام الحسین من أن الضرورة اقتضت أن يتولى أمر الإمام غير الإمام - وهم بنو أسد - كما نقلناه سابقاً عن الإرشاد، ويؤكد هذا التصور من رأيه ما جاء عن تلميذه السيد المرتضى حكاية عنه في الفصول في معرض رده على الناوسية الرافضيين لموت الإمام حيث رروا حديثاً عنه يقول فيه: إِنْ جَاءَكُمْ مَنْ يُخْبِرُكُمْ عَنْهُ بِأَنَّهُ غَسَّلَنَاهُ وَكَفَّنَاهُ وَدَفَنَاهُ فَلَا تُصَدِّقُوهُ. فرد الشيخ المفید عليهم بوجوه، ومما قال: "وله وجه آخر وهو أنه عنى بذلك كل الخلق سوى الإمام القائم بعده لأنه ليس يجوز أن يتولى غسل الإمام وتكفيفه ودفنه إلا الإمام القائم مقامه إلا أن تدعوا ضرورة إلى غير ذلك [16]. ويبدو هذا هو رأي المرتضى أيضاً بنقله وحکاته عن أستاذة .

وكذا الحال مع الشيخ الطوسي في غيبته من أن مولى الإمام الكاظم هو من غسله كما مر ذكر ذلك.

وكذلك الحال مع الشيخ الصدوق مع أنه روى أن الإمام الرضا قد غسل أباه إلا أنه روى روايات كثيرة في أن غيره تولى شؤون أبيه دونه، وقال أيضاً: (لأن الصادق عليه السلام إنما نهى أن يغسل الإمام إلا من يكون إماماً فان دخل من يغسل الإمام في نهيه فغسله لم يبطل بذلك إماماً الإمام بعده ولم يقل عليه السلام: إن الإمام لا يكون إلا الذي يغسل من قبله من الأئمة عليهم السلام فبطل تعلقهم علينا بذلك...).

والحال نفسه مع ابن شهرآشوب فهو مع نقله لبعض الروايات التي تقول (الإمام لا يغسله إلا إمام) أو (الإمام لا يليه إلا إمام) إلا أنه وفي مسألة دفن الإمام تبني - كما هو الظاهر - القول بأن بني أسد هم من دفنا الإمام الحسين ولعله يرى أن الضرورة اقتضت ذلك وإنما كان له التسليم بما حدث تاريخياً لوجود روايات (الإمام لا يغسله إلا إمام).

وعليه يمكننا القول: إنه اقتضت الضرورة أن يغسل سليمان بن جعفر الإمام الكاظم أو مولاه، واقتضت الضرورة أن يدفنه عمر بن واقد مع أتباع السندي بن شاهك، كما اقتضت الضرورة أن يتولى المأمون أو محمد بن جعفر بن محمد شؤون الإمام الرضا، بل اقتضت الضرورة أن لا يتولى الإمام الجواد دفن أبيه مع فرض التسليم بتغسيله.

والأهم من ذلك اقتضت الضرورة التي حكتها رواية كامل الزيارات أن يتولى بنو أسد أمر الإمام الحسين ودفنه. (ولقد أخذ [\[1\]](#) ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراغنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام...).

الخبر. وهذا واضح باعتراف زينب الكبرى والإمام السجاد عليهمما السلام أن [\[2\]](#) كلف جماعة دونهم يوارون جث الإمام وأصحا به.

ومنه نرى أنه لا منافاة بين أن (الإمام لا يغسله إلا إمام) وبين تولي غير الإمام شؤون الإمام لأن ذلك مما اقتضته الضرورة، نعم الإمام وفي غير حالة الضرورة وفي حالة تواجهه هو من يباشر كل شيء وقد يعاونه غيره لا بمفرده سواء أكانوا أفراداً خارجين كما هو المعروف من أن أسماء بنت عميس عاونت أمير المؤمنين في تغسيل فاطمة عليهما السلام، وعاون الفضل بن العباس أمير المؤمنين عليه السلام في تغسيل رسول [\[3\]](#) صلى الله عليه وآله، أو الملائكة كما في قول الإمام (معي من يعينني).

ويقرر هذا الكلام ما جاء في رواية هرثمة: (إنا نقول إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله فإن

تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامية الإمام لتعدي غاسله ولا بطلت إمامية الإمام الذي بعده بان غلب على غسل أبيه ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بالمدينة لغسله ابنه محمد طاها را مكشوفا ولا يغسله الان أيضا إلا هو من حيث يخفى.....[\[19\]](#).

ويمكن أن نخرج بنتيجة من هذا الكلام - على فرض التسليم به أن هذه القاعدة يمكن أن تكون هكذا (الإمام لا يغسله إلا إمام) إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك .

### الواقع الخارجي ونفس الأمر:

تارة نتحدث عن حدوث الأمر- أعني التغسيل والتحنيط والتكفين والدفن - خارجياً وتارة نتكلم عن نفس الواقع الذي لا يلاحظ خارجياً من قبل الناس، إما من قبل كل الناس كما في رواية هرثمة حتى أن هرثمة نفسه لم يشاهد الإمام أو يراه فرد من الناس كما في رواية ابن الصلت.

فإن كنا نتحدث عن الواقع الخارجي - وهو ما نقصد من كل هذا الكلام - فنحن أمام الأدلة ولو وازنا بين روايات تغسيل غير الإمام للإمام، وبين تغسيل الإمام للإمام السابق فإننا نجد أن الروايات الأولى أكثر عدداً واعتباراً، وإذا قلنا إنما الكلام عن نفس الأمر والواقع - وليس هذا حديثنا - يمكننا القول أن الملائكة أو النبي محمد<sup>ص</sup> هو من يباشر ذلك في نفس الأمر والواقع كما نقلنا ذلك ساقاً من قيام النبي في دفن الإمام الحسين وهذا لا يعارض الواقع الخارجي الذي يتولى فيه غير الإمام شؤون الإمام.

### فعل التغسيل صفة :

نعم يبقى هنا شيء وهو: هل أمر التغسيل والتكفين والدفن فعل خارجي أو صفة يتتصف بها الإمام؟

إن كان هذا الفعل فعلاً خارجياً فلا بد أن يرى ويعرف كما هو الحال في تغسيل أمير المؤمنين للنبي وهذا مما لا خلاف فيه فقد عرف بين المسلمين عامة أن من غسل رسول الله هو أمير المؤمنين، وإن كان صفة من الصفات فقد يلاحظ وقد لا.

والذي يبدو من ظاهر بعض الروايات أن الكلام عن التغسيل إنما هو فعل من الأفعال لذا رأينا الإمام يؤكّد الفعل وليس كونه صفة من الصفات كما في رواية أحمد بن عمر الحلال (... إن قال مولاي إنه غسله تحت عرش ربّي فقد صدق وإن قال: غسله في تخوم الأرض فقد صدق قال: لا هكذا [قال] فقلت: فما أقول لهم؟ قال: قل لهم: إني غسلته، فقلت: أقول لهم إنك غسلته؟ فقال: نعم). فالإمام هنا لا يتحدث عن صفة من الصفات بل يؤكّد فعلاً من الأفعال (إني غسلته)، ولذا فإن الإمام الصادق يوصي ابنه الإمام الكاظم بأنه يغسله فعلاً لا أنه يحكي عن مجرد صفة وإن كانت هي من شؤونه المفترضة (قال موسى بن جعفر (ع): فيما أوصاني به أبي ان قال: يابني إذا أنا مت فلا يغسلني أحد غيرك فان الإمام لا يغسله إلا إمام واعلم أن

عبد الله أخاك سيدعو الناس إلى نفسه فدعاه فان عمره قصير، فلما مضى غسلته كما امرني [201].

ومن ذلك استعظام المفضل بن عمر لتفسيل أمير المؤمنين ( فعل التفسير) لفاطمة [211] فإن الاستعظام لل فعل وليس للصفة .

ولو قلنا أن ( فعل التفسير) هو صفة من المفاتيح هل يجب عقلاً أن تثبت للأخرين ليسلموا أنه الإمام أو لا ينبغي، فمثلاً من صفات الإمام كونه عالماً فهل هذه الأعلمية ضرورية الظهور للناس بحيث أنهم يسلمون بأعلميته على أقرانه كما شُهد بأعلمية أمير المؤمنين على الصحابة أو الإمام الصادق على أقرانه أو لا ؟

فإذا قلنا بضرورة ظهور هذه الصفة هل يعني عدم ظهورها إخلال بالصفة أم لا؟ وإذا قلنا بأنه ليس ضرورياً ظهور كما هي العصمة مثلاً فإن كثيراً من أصحاب الأئمة ما كانوا يعتقدون في الأئمة بأنهم معصومون كما ذكر ذلك الشهيد الثاني في (حقائق الإيمان) ص 151 منه بقوله:

(... فإن كثيراً منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم لخفايتها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنهم علماء أبرار، يعرف ذلك من تتبع سيرتهم وأحاديثهم. وفي كتاب أبي عمر الكشي رحمة الله عليه جملة مطلعة على ذلك، مع أن المعلوم من سيرتهم عليهم السلام مع هؤلاء أنهم كانوا حاكمين بإيمانهم على عدالتهم) حتى قيل أن العلماء اليوم بل حتى العوام أقدر وأعرف من أصحاب الأئمة في معرفة مقامات الأئمة وصفاتهم !!، وعليه فإن عدم اطلاع الناس على هذه الصفة لا ينفي كونهم متصفين بها، وإن انتفت هذه الصفة في وقت من الأوقات أو بلحاظ من اللحاظ هل تنتفي هذه الصفة كليةً أو تنتفي الإمامة عنها فمثلاً عندما نقول أن الإمام لا بد أن يكون عالماً، وهو لا يعلم متى تقوم الساعة كما هو صريح القرآن وروايات أهل البيت، فهل انتفاء هذه الصفة في هذه الحالة - عدم معرفة وقت الساعة - يعني انتفاء الصفة كليةً أو لا؟

الصحيح أن انتفاء الصفة آناء ما وبلحاظ ما لا يعني انتفاء الصفة، ولا الإخلال بها، ولكن يعني عدم الضرورة لها في كل الحدود، فإذا علمنا أنه عالم، ولكن الله لم يطلعه على كل شيء، وليس عالماً بكل شيء فهذا لا ينفي كونه أعلم من غيره من الناس، وإذا قلنا إنه من صفاتي تفسير الإمام فإن عدم تفسيره لا ينفي ذهاب الصفة منه، وكل ذلك فلسفة طويلة لا طائله منها لأن التفسير بما هو تفسير فعل من الأفعال فإذا فعل الإمام هذا الفعل عرفناه - حسب الروايات- وإذا لم يفعل عرفنا أنه لم يفعل فأمير المؤمنين قاتل مع رسول الله في كل الغزوات والجروبات وتختلف ولم يقاتل في غزوة واحدة وليس هذه مثلاً من صفات الإمام، نعم تختلف الإمام عن تفسير الإمام -إذا اعتبرناه صفة- لا يعني انتفاء هذه الصفة عنه، تماماً

كون الإمام هو الإمام تولى على أرض الواقع الإمامة والخلافة كما هو أمير المؤمنين أو لم يتول الخلافة، كأمير المؤمنين في وقت خلافة الخلفاء الثلاثة وبقية الأئمة في خلاف بنى أمية وبنى العباس وهذا لا ينفي أنه هو الإمام المفترض الطاعة وإن كان ليس بيده شيء على أرض الواقع في ظل الحكومات المسيطرة على الحكم.